يجدها هناك؟ ربما ستكون قد احترقت.. عليه أن يحمل صبراً واسعاً ورغبة في أن يكـون إلّهاً، رغبة تفسر له عدمية الموت، كم كان عاجزاً! كم كان عاجزاً، أمامها! دونها لا يمكن أن يعيش، إنه يرسم الحياة... يهدمها... يبنيها. إن الحب في جسد مناضلة هو التفوق الكلي على الحرية». (ص: 205-206).

ويمكن تمثل الصراع بين الإديولوجيات في رواية الوطن في العينين كالتالي:

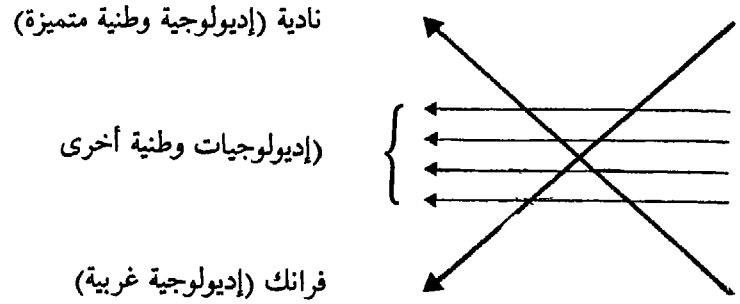

ج ـ الرواية كإديولوجيا:

وعند هذه النقطة بالذات يمكننا أن نتحدث لا عن الإديولـوجيا في الـرواية، وإنمـا عن الرواية كإديولوجيا، لأنـه عندمـا ينتهي الصراع بين الإديـولوجيـات في الروايـة تبدأ معـالم إديولوجية الرواية ككل في الظهور، ويمكن القول إن الرواية كإديولوجيـا لا يمكن الحديث عنهـا إلا بعد استيعـاب طبيعة الصـراع وتحليلها بين الإديـولوجيـات داخلهـا ونتيجـة هـذا الصراع، لأن الرواية كإديولوجيا تعني موقف الكاتب بالتحديد، وليس مـوقف الأبطال كـلٍ منهم على حدة، وقد سبق أن ألْمَحْنا إلى أن الإديولوجيات داخل الرواية لا تلعب إلا دوراً تشخيصياً ذا طبيعة جمالية من أجل توليد تصور شمولي، وكلي هو تصور الكاتب.

وهـذه الفكرة تختلف بعض الاختـلاف مـع آراء بـاختين لأنـه يميـل إلى حصـر وجـود الإديولوجيا داخل الرواية في المستوى الأول، ولذلك يجعل الكاتب صاحبَ موقفٍ حيادي في الغالب، وخاصة في الروايات ذات الأصوات المتعـددة Les romans Polyphonique. وعندما يتحـدث عن المتكلم في الروايـة يشير أسـاساً إلى الشخصيـة المُجَسَّدة في النص الروائي.

«في الرواية، الإنسان الذي يتكلم وكـلامه هُـوَ موضـوعٌ لتشخيصٍ لفظي أدبي، وليس خطابُ المتكلِّم في الرواية مجردَ خطابٍ منقول أو مُعادٍ انتاجُـه، بل هـو بالـذات مُشَخَّصٌ بطريقة فنية، وهو خلافاً للدراما مُشخصٌ بواسطة الخطاب نفسه (خطاب الكاتب)[57].

(57) ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار الأمان، الرباط، 1987، ص 90.